مجلة الشرق الأوسط للنشر العلمي
المجلد (٨) العدد (٤)
الإصدار الثامن والعشرون
٢٠٢٥ (١-٧)

تمثلات الألم النفسي في شعر ابن الرومي، دراسة تحليلية" لقصيدة "أجنت لك الوجد

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

منيرة صالح بخيت الجهني
جامعة طيبة، المدينة المنورة.

نشر إلكترونياً بتاريخ: ٦ سبتمبر ٢٠٢٥م

الملخص

قام هذا البحث على قصيدة "أجنت لك الوجد أغصان وكثبان" للشاعر العباسي ابن الرومي ،بوصفها نموذجا شعريا يعكس التوترات النفسية والتجربة العاطفية القاسية التي عاشها الشاعر، حيث سعى هذا البحث إلى تحليل القصيدة من منظور فني ونفسي وكشف عن أبرز الملامح الجمالية والتعبيرية فيها وربط الصور الشعرية بالمضمون الوجداني ،اعتمدت في هذا البحث على المنهج التحليلي الفني من خلال دراسة البناء الفني للقصيدة والصور الشعرية واللغة والدلالات النفسية وتوصلت إلى أن القصيدة تمثل ذروة في التعبير عن الحزن والاغتراب الداخلي، برزت القصيدة قدرة ابن الرومي على تجسيد الألم الشخصي ضمن بنية فنية عالية.

الكلمات المفتاحية: ابن الرومي، الحزن في الشعر، التخييل، أجنت لك الوجد.

*** المقدمة**

يعد ابن الرومي (٢٢١هـ_٢٨٣هـ) من أبرز شعراء العصر العباسي إذ تميز شعره الذاتي العميق الذي يعكس انفعالاته النفسية وتجربته الإنسانية القاسية، وتعد قصيدته "أجنت لك الوجد أغصان وكثبان" نموذجا فنيا غنيا في تصوير الأحزان والتقلبات النفسية بما تحمله من صور حسية وتراكيب لغوية دقيقة تترجم المعاناة الداخلية إلى بنية شعرية مؤثرة، جاء هذا البحث محاولة لتحليل القصيدة تحليلا أدبيا فنيا يتتبع عناصرها البنيوية والدلالية، مع الوقوف على ملامح الحزن والتخييل العاطفي فيها كمدخل لفهم العمق النفسي في شعر ابن الرومي.

*** أهمية البحث**

تجلت أهمية البحث في تسليط الضوء على تجربة شعورية صادقة ضمن التراث الشعر العربي وتقديم قراءة فنية

تبرز قدرة الشاعر على تحويل الألم الشخصي إلى عمل شعري خالد.

*** هدف البحث**

يسعى البحث إلى تحليل قصيدة ‘‘أجنت لك الوجد" من جوانبها الفنية والموضوعية وإبراز العلاقة بين البنية الشعرية والمضمون النفسي وتحديد سمات الأسلوب الأدبي عند ابن الرومي.

*** منهج البحث**

اعتمدت على المنهج التحليلي الفني من خلال دراسة النص ذاته وتحليل عناصره البنائية (اللغة، الصورة، الموسيقى، الدلالة) وربطها بالسياق النفسي والاجتماعي.

*** تمهيد**

*** ابن الرومي بين السيرة والشعر**

يعد ابن الرومي من الشعراء الذين امتزجت حياتهم الشخصية بتجربتهم الشعرية امتزاجا عميقا فقد عرف بحساسيته المفرطة، ونفسيته القلقة، مما جعله يفرغ مشاعره في شعره بشكل صادق ومكثف.

ولد أبو الحسن علي بن العباس بن جريج في بغداد سنة(٢٢١هـ) لأب رومي الأصل وأم عربية، ونشأ في بيئة عباسية مزدهرة ثقافيا لكنها كانت مليئة بالتقلبات السياسية والاجتماعية مما أثر على استقراره النفسي، عرف بحدة ذكائه وسرعة بديهته، لكنه في الوقت ذاته كان يميل للعزلة ويشكو في كثير من قصائده الضيق، والقلق، والمرض، والموت.

يمتاز شعر ابن الرومي بطابع شخصي بارز حيث عبر عن أحزانه وآلامه بلغة دقيقة وصور شعرية مبتكرة وقد ابتعد في كثير من أشعاره عن الأغراض التقليدية وركز على الشعر العباسي

كان لتجربته القاسية في الحياة من فقد الأحبة والمشكلات النفسية والضغوط الاجتماعية أثر بالغ في تشكيل رؤيته الفنية فجاء شعره مرآة دقيقة لعامله الداخلي كما يظهر جليا في قصيدته: ‘‘أجنت لك الوجد أغصان وكثبان " التي تمثل ذروة التعبير العاطفي الحزين في تجربته الشعرية.

تميز أسلوب ابن الرومي بخصوصية لغوية وفنية فريدة إذ جمع بين العق الشعوري والدقة التعبيرية، وكان دقيقا في اختيار ألفاظه شديد العناية بتركيب جمله متقنا لصياغة الصور الشعرية التي تعكس حالته النفسية (١).

*** البناء الفني للقصيدة**

يُعد البناء الفني من أبرز العناصر التي تُشكّل الهيكل الجمالي للنص الشعري، إذ يُعبّر من خلاله الشاعر عن تجربته الشعورية بأساليب فنية متعددة. وفي قصيدة ‘‘أجنت لك الوجد أغصان وكثبان’’ يتجلّى هذا البناء في نظام الوزن والقافية، وفي التدرج البنائي، وفي الإيقاع الداخلي الذي ينسجم مع حالة الشاعر النفسية، ومن هنا، يهدف هذا المبحث إلى دراسة العناصر الفنية التي شكّلت بنية القصيدة، وتحليل دورها في دعم التعبير الوجداني والتجربة الشعرية.

١- الوزن والقافية

جاءت القصيدة على بحر الكامل، وهو من البحور الشعرية التي تتميز بالإيقاع المتدفق والقوي، مما يساعد على إبراز الشحنة العاطفية والتوتر النفسي في النص. وقد حافظ ابن الرومي على انتظام التفعيلات في بيت، مما منح القصيدة

١/ضيف، شوقي_ العصر العباسي الأول، دار المعارف.

توازنًا موسيقيًا محكمًا. أما القافية، فجاءت موحَّدة على حرف النون، وهذا التكرار الصوتي ساهم في ترسيخ الإيقاع الحزين مما ينسجم مع الجو الشعوري العام للقصيدة ويُكرّس حالة التوجع والانكسار(٢).

٢- البنية الهيكلية للقصيدة

تنقسم القصيدة إلى مقاطع متتابعة تبدأ بتصوير الطبيعة التي تعكس المشاعر، ثم تنتقل إلى التعبير المباشر عن الوجد، وتنتهي بالنكوص والتسليم للحزن، مما يمنح النص تصاعدًا شعوريًا متدرجًا ومتوازنًا.هذا التدرج يُحقق وحدة شعورية تترابط فيها الأبيات لتصوّر حالة شعورية واحدة عميقة، لا مجرد تراكم لمشاهد منفصلة.

٣- الإيقاع الموسيقي الداخلي

اعتمد الشاعر بالإضافة إلى الإيقاع العروضي، على تكرار ألفاظ معيّنة مثل: الوجد، الدمع، البكاء، الليل، مما خلق موسيقى داخلية تعزز الجو الشعوري للنص كما استخدم أساليب نحوية تعبيرية مثل: النداء، التعجب، والتكرار، التي أضافت أبعادًا إيقاعية نفسية، وأسهمت في تقوية البناء الصوتي الداخلي للقصيدة(٣).

٤- دور الصور الفنية في البناء

جاءت الصور الشعرية في مطلع القصيدة لتكون جزءًا لا يتجزأ من بناء النص، لا مجرد زينة بل أداة فنية تؤسس لتجربة الوجد، فالتشبيه بين ''الوجد'' و''الأغصان والكثبان'' يعبّر عن تفرع الحزن وتمدد أثره في الذات. هذه الصور تتكامل مع الوزن والإيقاع لخلق نصٍّ موحّد في بنيته ومضمونه، يجسد تجربة نفسية حدة وعميقة(٣).

نجح ابن الرومي في بناء قصيدته فنيًا بشكل يُعبّر بدقة عن حالته النفسية، من خلال توازن الوزن، ثبات القافية، البناء المتدرج، والموسيقى الداخلية، إضافة إلى الصور الشعرية المؤثرة. وقد جاءت هذه العناصر جميعًا منسجمة لتكوّن نصًا فنيًا محكمًا يحمل تجربة وجدانية صادقة ومؤثرة.

*** الصور الشعرية والتخييل في قصيدة ''أجنت لك الوجد أغصان وكثبان"**

تلعب الصورة الشعرية دوراً مركزيًا في القصيدة العربية، لا سيما عند الشعراء الذين يصوغون معاناتهم بلغة رمزية وتخيلية مكثفة، كما هو الحال عند ابن الرومي. فقد جاء شعره محمّلًا بصور حسّية مركبة، وتشبيهات دقيقة، واستعارات غنية تعكس عمق التجربة الشعورية. وفي هذه القصيدة، تتجلى الصور الشعرية بوصفها أدوات تعبير وجداني وانفعالي، تسهم في نقل تجربة الحزن والوجد بأسلوب بصري وسمعي حي(٤).

١- الصور الحسية والانفعالية

تفتتح القصيدة بصورة حسية مركّبة: "أجنّت لك الوجد أغصان وكثبان"

يشبّه الشاعر شعوره بالوجد بأنه أثمر أغصانًا وكثبانًا، وهي صورة بصرية تُعبّر عن امتداد الحزن في داخله

٢/بدوي_طبانة،فن الشعر، القاهرة، دار المعارف،١٩٨٤م.
٣/صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، القاهرة، دار الشروق،١٩٩٢م.
٤ / عبدالله الطنطاوي، ابن الرومي: حياته وشعره، دمشق، دار الفكر،١٩٨٠م.

كما تمتد الأغصان والكثبان في الطبيعة وتُجسّد هذه الصورة تفرّع الألم وتعمقه في مزج بين الطبيعة والانفعال.

"فيهن نوعان تفاح ورمان وفوق ذينك أعناب مهدّل"([٥])

في هذه الصورة، تتحوّل الطبيعة إلى رمز لحالته النفسية، حيث يُجسّد الألم بثمار متعددة، كالرمّان والتفاح والعنب. كما أن الأعناب المهدّلة توحي بانحدار العواطف وثقلها، وتعبّر عن انسكاب الحزن في صورة ناعمة وانسيابية.

٣- التناقض الفني والتوتر الشعوري

في قوله: -

وتحت هاتيك أعناب تلوح به"([٦]) " سود لهن من الظلماء ألوان

تظهر مفارقة بصرية بين الظلام والظهور، بين السواد واللمعان، مما يعكس التوتر النفسي الداخلي بين الاستسلام للحزن ومحاولة الانبعاث منه. هنا تتجلّى الصورة المركبة المتناقضة التي توحي بأن الحزن ذاته قد يحمل مظهراً من مظاهر الحياة أو الجمال.

٤- التجسيد الشعوري والاستعارة النفسية

غصون بان عليها الدهر فاكهة أطرافهن قلوب القوم قنوان

في هذا البيت، تتحول أطراف الأغصان إلى قلوب مقيدة، ويُشبه العواطف بقيود متدلية، مما يعكس مشاعر الأسر والانكسار. ثم يصوّر أن هذه الأغصان، رغم وطأة الزمن (الدهر)، لا تزال تحمل فاكهة، في إشارة إلى أن الحزن لم يُفقد النفس حيويتها، بل صار يثمر إحساساً عميقًا بالشعور الإنساني.

٥- الصورة الختامية: الحزن كقيمة رمزية

‘‘وما الفواكه مما يحمل البان’’

هذا البيت يؤكد أن ما تحمله أغصان الحزن ليس شيئًا سطحيًا، بل هو فواكه رمزية تمثل قيمة معنوية وتجربة وجدانية ناضجة، وفي هذا انتقال من التصوير الخارجي إلى العمق الداخلي للتجربة الشعرية.

أبدع ابن الرومي في استخدام الصور الشعرية والتخييل لتصوير مشاعره لا بلغة مباشرة، بل من خلال رموز طبيعية حسّية تُترجم حزنه ووجدَه إلى مشاهد مرئية وملموسة. إذ جاءت هذه الصور مشحونة بالانفعالات والتوترات النفسية، وموزونة بين الجمال الظاهري والمرارة الداخلية، لتمنح النص طاقته الشعورية العميقة.

لطالما اقترن شعر ابن الرومي بالحزن والقلق والاضطراب النفسي، فهو شاعر عُرف بحساسيته المفرطة وارتباطه العميق بعالمه الداخلي. وفي هذه القصيدة، تتجلى مشاعر الحزن والاغتراب بوضوح، إذ يُعبّر الشاعر عن آلامه وتجربته العاطفية القاسية من خلال صور لغوية ومواقف شعورية تعكس انفصاله عن العالم الخارجي وغوصه في ذاته المتألمة.

١- مظاهر الحزن في القصيدة

يُهيمن الحزن على أجواء القصيدة منذ بدايتها، ويتضح ذلك من خلال: -

١- ألفاظ الوجع: مثل "الوجد"،"الدموع"، "الأنين"، "الظلماء.

٢- الصور الموحية بالألم: الأغصان التي تثمر حزنًا، العنب المهدل، القلوب المقيدة

[٥] / ابن الرومي، ديوان ابن الرومي، تحقيق حسين نصار، القاهرة، الهيئة المصرية العامة.

[٦] / ابن الرومي، ديوان ابن الرومي، تحقيق حسين نصار، القاهرة، الهيئة المصرية العامة.

٣- الإيقاع العام الحزين: الناتج عن تكرار النون والقافية الموحدة التي تشبه أنينًا متكررًا

هذا الحزن ليس سطحيًا، بل ينبع من أعماق نفس مأزومة، يرى القارئ أثره في كل صورة وكل تعبير.

٢- الاغتراب النفسي

يبدو الشاعر في القصيدة منفصلًا عن العالم، وكأنه يعيش داخل وجدانه فقط

لا يُخاطب شخصًا بعينه

لا يصف حدثًا واقعيًا أو بيئة خارجية

بل يتأمل ألمه ويتحدث عن ذاته من الداخل

وهذا ما يُعرف في النقد الحديث بـــالاغتراب النفسي، أي أن يعيش الإنسان في عزلة شعورية، لا يشعر بانتمائه للواقع، بل يرى كل شيء من خلال ألمه.

٣- العزلة العاطفية والانفصال عن العالم

أحد أقوى المشاهد التي ترمز للعزلة هو قوله: -

" أطرافهن قلوب القوم قنوان"

يشبّه القلوب بأنها ثمر متدلٍ من أغصان الحزن، مما يُشير إلى أن الناس أيضًا مقيدون عاطفيًا، وكأن الشاعر لا يرى العالم إلا من خلال مرآة حزنه.

كما أن استحضاره لأغصان وفواكه تحمل السواد والظلام يوحي بأن كل ما حوله يعكس ألمه الداخلي، في تكرار لحالة الانفصال العاطفي.

٤- رمزية الحزن والدموع

"وسكبن دمعًا له في الترب ألوان ... كأنه طلع فاكهة وأفنان"

يحمل الدمع رمزية مزدوجة: -

هو ألمٌ ظاهر (دمع، بكاء)

وهو نتاج داخلي (ثمرة، فاكهة)

وهذه الصورة تُبرز أن الحزن لدى ابن الرومي ليس مجرد انفعال مؤقت، بل تجربة ممتدة تنضج وتنمو كالنبات.

يُعبّر ابن الرومي في هذه القصيدة عن حزن داخلي عميق يصل حدّ الاغتراب النفسي، إذ يتحوّل العالم في عينيه إلى انعكاس لمأساته الداخلية. وقد تجلت هذه المشاعر في الصور الحزينة، واللغة الرمزية، والتراكيب التي تحمل ظلالًا نفسية كثيفة، مما يجعل القصيدة نموذجًا شعريًا للحزن الوجودي والعزلة الشعورية.

تتميّز اللغة الشعرية عند ابن الرومي بتكثيفها الدلالي، وغناها بالتراكيب المعبرة عن الشعور الداخلي، مع اعتمادٍ واضح على الاستعارات والتشبيهات المركبة، وفي قصيدته " أجنت لك الوجد أغصان وكثبان " يُلاحظ توظيف واعٍ للغة بوصفها وسيلة لا لتوصيل المعنى فقط، بل لبناء الجو النفسي للقصيدة. يُعالج هذا المبحث أبرز الظواهر اللغوية والتراكيبية في النص ويكشف عن كيفية تسخيرها لخدمة المعنى الشعوري والفني.

١- التراكيب المركبة والدلالة النفسية: تكثر في القصيدة التراكيب المركبة التي تمزج بين عنصرين متباعدين في الظاهر لكنهما متصلان في العمق النفسي([٧]). مثل: -

"أجنت لك الوجد أغصان وكثبان"

في هذا التركيب: -

"أجنت" تعني أثمرت

و"الوجد" مشاعر داخلية

[٧] / بدوي_ طبانة، فن الشعر، القاهرة، دار المعارف،١٩٨٤م

أما ‘‘الأغصان والكثبان’’ فهي مظاهر طبيعية خارجية

هذا الدمج بين الداخل (الشعور) والخارج (الطبيعة) يُنتج تركيبًا بلاغيًا يُبرز التوتر النفسي العميق، ويجعل اللغة تعكس صراعًا داخليًا على مستوى التركيب لا المعنى فقط.

٢- الألفاظ والحقول الدلالية

يمكن ملاحظة تمركز معجمي حول عدة حقول دلالية في القصيدة: -

١- حقل الطبيعة: (أغصان – كثبان – تفاح – رمان – أعناب – أفنان – البان)

٢- حقل الألم: (الوجد – الدمع – الظلماء – قلوب – قنوان)

وهذا التوزيع يُبيّن كيف أن الشاعر يُحمّل الطبيعة مضمونًا نفسيًا، بحيث تصبح الألفاظ الطبيعية حاملة لمعانٍ وجدانية.

٣- الأساليب البلاغية

التشبيه: حاضر بقوة، مثل: -

"كأنّه طلعُ فاكهة وأفنان"

وهنا يُشبه الدمع بالثمر، مما يُحول الانفعال إلى صورة ملموسة الاستعارة: تُستخدم في مواضع كثيرة، منها استعارة ‘‘الأغصان’’ و’’الكثبان’’ للوجد، وهي استعارة عميقة ترمز إلى اتساع المشاعر وتشعبها(٨).

الطباق والتقابل: يظهر في الجمع بين

"سود لهن من الظلماء ألوان"

وهنا تتقابل الألفاظ: "سود ⟵ ألوان" في صورة ذات توتر داخلي يعكس ازدواجية الشعور (حزن وظلال من الحياة).

٤- طاقة اللغة الإيحائية

تتميّز القصيدة بأن لغتها إيحائية وليست مباشرة، فلا يصرّح ابن الرومي بالحزن مثلًا بكلمة ‘‘أنا حزين’’، بل يجعله يتجسد في الأغصان والثمار والدمع. وهذا الاستخدام العميق للغة يُكسب القصيدة بعدًا رمزيًا وفنيًا عاليًا، يتجاوز السطح إلى أعماق التجربة الشعورية.

تكشف القصيدة عن براعة ابن الرومي في توظيف اللغة والتراكيب لخدمة المعنى الشعوري. فاختياره للألفاظ، وصياغته للتراكيب، واستخدامه للرمز والاستعارة، كلها عناصر تخلق لغة متوترة شعوريًا وغنية دلاليًا، تعكس حالته النفسية بدقة وتمنح النص عمقه الفني.

*** أهم النتائج**

١- تكشف القصيدة عن عمق التجربة الشعورية لدى ابن الرومي، حيث استطاع أن يصوّر الحزن والوجد بأسلوب رمزي بعيد عن المباشرة، معتمدًا على التخييل والصورة الشعرية المركبة.

٢- استثمر ابن الرومي البناء الفني للقصيدة – من وزن وقافية وإيقاع – بشكل متقن لخدمة المعنى، فجاءت الموسيقى الشعرية متناغمة مع الحالة النفسية المتوترة التي يعبر عنها النص.

٨/ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، القاهرة، دار الشروق،١٩٩٢م

٣- برزت الصور الشعرية بوصفها أداة أساسية للتعبير عن الاغتراب النفسي، إذ استخدم صورًا حسية من الطبيعة (أغصان، فواكه، كثبان) ليُسقط عليها معاناته الذاتية.

٤- اتّسمت لغة القصيدة بتركيبها الرمزي والدلالي، حيث سيطر على النص حقلان دلاليان متضادان: حقل الطبيعة وحقل الألم، في مزج فني يدل على قدرة الشاعر على تحويل المعاناة إلى مادة فنية راقية.

٥- ظهرت ملامح الاغتراب والعزلة النفسية في بنية القصيدة، سواء من خلال الصور الرمزية أو من خلال التراكيب التي تعكس الانفصال العاطفي والانكفاء على الذات.

*** الخاتمة**

تُعدّ قصيدة "أجنت لك الوجد أغصان وكثبان" لابن الرومي نموذجًا فنيًا عاليًا للتجربة الشعورية الصادقة، حيث تجتمع في بنيتها عناصر فنية متعددة: من صور شعرية عميقة، ولغة دلالية مركّبة، وبناءٍ فني محكم، كل ذلك لخدمة موضوع واحد هو الحزن الداخلي والاغتراب النفسي.

وقد أظهر التحليل أن ابن الرومي لا يكتب الحزن بوصفه انفعالًا عابرًا، بل يُحوّله إلى مشهد جمالي مكتمل، مستخدمًا أدواته الشعرية بدقة عالية، فيبني صورة شعورية كثيفة، لا تعتمد على التصريح، بل على الرمز والإيحاء والتراكيب الفنية.

وجاء توظيفه للطبيعة، والفواكه، والأغصان، والكثبان، بوصفها رموزًا تنبض بالمشاعر، ليمنح النص بعدًا رمزيًا وإنسانيًا عميقًا، يجعل القارئ لا يتلقّى الحزن فقط، بل يعيشه.

*** التوصيات**

١- ضرورة إعادة قراءة شعر ابن الرومي ضمن إطار التحليل النفسي الأدبي، لا سيما ما يتعلّق بالذات والوجدان والاغتراب.

٢- تشجيع الدراسات التي تربط بين الصورة الشعرية والبعد النفسي في الشعر العباسي، لما في ذلك من كشف لأبعاد جمالية وفكرية لم تُتناول بشكل كافٍ.

٣- الاهتمام في الدراسات الأكاديمية بتحليل اللغة والتراكيب في الشعر العباسي بوصفها أداة تعبير وجداني، وليس مجرد بناء لغوي

*** المراجع**

ابن الرومي. ديوان ابن الرومي. تحقيق: حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، بدون تاريخ.

بدوي طبانة. فن الشعر. دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٤م.

شوقي ضيف. العصر العباسي الأول. دار المعارف، القاهرة، الطبعة التاسعة، ١٩٩٥م.

صلاح فضل. بلاغة الخطاب وعلم النص. دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٢م.

عبد الله الطنطاوي. ابن الرومي: حياته وشعره. دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠م.